

ولئن جرّت عليّ الدواهي يا يزيد مخاطبتك

إني لأستصغر قدرك

زينب

سيد، كمال، ۱۳۳۶-
امراة اسمها زينب/ المؤلف كمال السيد- قم: مؤسسة انصاريان، ۱۴۳۱ق.= ۲۰۰۰
۱۳۷۹.
۷۹ص.
فهرستتويبيسي براساس اطلاعات فيها.
چاپ دوم: ۱۳۷۹
۱. زينب بنت علي (س)، - ۶۲ق. -- سرگذشتنامه. الف. عنوان. ب. عنوان:
زينب.
۸ الف ۹س/۳/۲۵۲ BP
کتابخانه ملی ايران
ISBN 964-438-105-x
۲۹۷/۹۷۴
م ۷۴/۵۸۳۶

اسم الكتاب : امراة اسمها زينب

المؤلف : كمال السيد

الناشر: مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر- قم

الطبعة الثانية: ۲۰۰۰- ۱۳۷۹

الطبعة: صدر الكمية: ۲۰۰۰

حجم الكتاب: متوسط عدد الصفحات: ۸۰

شابك x ۱۰۵.۴۳۸.۹۶۴

جميع حقوق الطبع والنشر مسجلة ومعنونة للناشر



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر

ص.ب. ۱۸۲

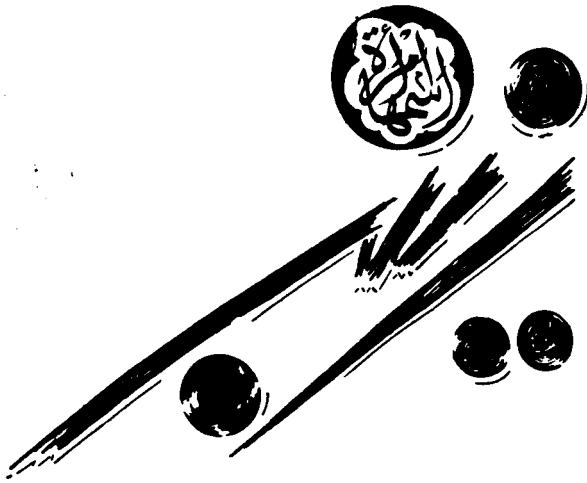
قم - شارع الشهداء - فرع ۲۲

جمهورية إيران الإسلامية

هاتف: ۰۰۹۸ ۲۵۱ ۷۴۱۷۴۴ ++ فاكس: ۷۴۲۶۴۷

البريد الإلكتروني: ansarian@noormet.net

کمال السید



روایت

الإهداء إلى روح الله

في زمن يلقه الضباب والدخان.. في زمن الشيطان.. في زمن رسم الرعب
ملاحه في المدن الخائفة.. العالم مستسلم بين أنياب تنزّ صديداً.. في هذا
الزمن اليأس، تمخّضت الأرض فأنجبت «روح الله».
وجه يحمل شارات الانبياء.. وامتدادات السماء: سيفاً.. قرآناً.. سهيلاً
مخزوناً من أرض كربلاء.. من لحظة عاشوراء.
وتشرق شمس جديدة تغمر الدنيا بالدفء والنور والأمل.. وترفع النوق
في الصحارى رؤوسها.
هناك في الأفق البعيد، قافلة قادمة يقودها وارث الحسين.
السلام عليك يا روح الله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك.
سرعان ما رحلت عنا، بقلبك المطئن المقعم بالسلام.. بروحك الطاهرة..
بأملك الكبير في حياة أبدية لانكذ فيها ولا عناء.
كيف نخبئ دموعنا في دزبك اللاحب. سنحرق كلّ أشرعتنا، ونفرق في
شواطئك..

ايها المسكون بهاجس الرحيل.. المبهور بالسفر.. ايها القادم الينا من
اعماق التاريخ والانسان.. ايها المضمخ بعبير النبوات.. يا بشارة هذا العصر.
عندما اشرفت على الدنيا بدأ عصر الزوابع.. الغيوم المخزونة بالعودة
تتحشد فتشعل البروق، وتسيل أودية بقدر.

السلام عليك يا روح الله .. ايها القادم من رحم كربلاء؛ جواداً ينبعث من
أعماق رمال الصحراء.. صوتاً فيه انغام الزبور.. تراتيل التوراة.. بشارة
الانجيل.. وآيات القرآن العظيم.
السلام عليك يا روح الله ..
ايها الروح الذي حطّم اصنام الطغاة.. ايها القلب الذي اصبح نبعاً للحياة،
وطريقاً للنجاة.

مذ رأيتك رأينا آية الله .. معجزات الانبياء. في قبضتك عصا موسى
تسف سحر الشياطين.. فأس ابراهيم تهشم وجوه الآلهة المزيّفة. في عينيك
بريق الحسين.. والجراح التي هزمت سيوف القبائل.
ما يزال حضورك قوياً رغم غيابك.. أيها الشاهد الغائب، والغائب الشاهد..
قبرك يرفض صمت المقابر.. وصمتك العجيب يتحدث بلغة مدهشة ابغ من كل
ابجديات الدنيا.

أنا لا اصدق خرافة موتك.. فالذين التحقوا بقافلة الحسين لن يموتوا.. لقد
حطّموا جدران الزمن الصدئة.. اكتشفوا سرّ الخلود.
باقة ورد اقدمها بين يديك يا سيدي، و سلام عليك في العالمين.

كمال السيد

جمحت الفرس... رحمت... ارتفع صهيلها عالياً يملأ الآفاق... لقد
عانق الفارس الذي دوّخ القبائل... عانق الأرض... توسّد رمال
الصحراء... أفناه الظمأ... وأعياء نرف الدم، والفراء ففرف مفلوياً
ففدافع أمواجه كأنه بطون الفففاء.

جالف الفرس.. ففمفمف وهي ففقرفب منه. رافف ففمرفغ ففاصففها
بالدماء الفافرة.. ففلفن ذرفاء الرمل المفلففة بلون الفشق الفزفن.
ففف رففل من الفبائل... رففل أسكرفه فشفوة الففل:
- فونكم الفرس. أفها من فففاء فففل الففبف.

مفل ففامة ما لها من قرار، فافر الفففل ففولها الفرس ففقالف
بضرافو.. ففدفع عنها فائلة الفبائل، كما لو أن روح السبف فف ففكف

أعماقها.

أما هو فقد توقّف ليسترجم فوق رمال كربلاء.
مالها القبائل تشتعل حقداً.. تضطرم غيظاً.. تتفجر في أعماقها شهوة
النار.

تارت الرمال تحت حوافر الخيل، وعجزت الذئاب من كبح جماح
فرس نائرة كان صاحبها قد التوى به السرج، فانسربت روحه
الدافئة تلتقط أنفاسها من بين ذرات الارض...
صرخ الرجل الذي يحلم بكنوز الري وجرجان:
- دعوها لننظر ما تصنع.

انحسرت عنها الخيل.. نظرت الى الافق البعيد، ثم لوت رأسها
باتجاه آخر الاسباط.
ما يزال غافياً فوق الرمال ينوء بنفسه.. قلبه ينزف دماً؛ ودماء
القلب ترسم طريقها فوق الأرض نهراً صغيراً يكاد سنا نوره يضيء
التاريخ.

خفت زعيق القبائل... وتقدّمت الفرس نحو سبط النبي.. شمته..
ملأت رثتها من عبير النبوات.. أطلقت صهيلاً مدوّياً وهي تركل
الأرض.. تريدها أن تستيقظ.. أن تهتزّ، وتزلزل تحت أقدام الذين
اغتالوا الحرّية وطعنوا السلام.

انطلقت الفرس نحو خيام قافلة عصفتُ بها الريح من كل مكان.
كانت ما تزال تصهل عالياً.. ما تزال كلماتها تتردد في سماء التاريخ.
- الظليمة الظليمة من أمة قتلتُ ابن بنت نبيها.
لقد انتهى كل شيء، ومرّت العاصفة الهوجاء.. ملأت الرمال دماء
ودموعاً.. والفرات ما يزال يجري.. تتدافع أمواجه نحو البحر البعيد.
يَمّت الفرس وجهها شطر الفرات المسافر في مجاهل الصحراء..
اقتحمت أمواجه المتدافعة، وغمرتها الأمواج، وكان الحصى المتناثر
فوق الشواطئ يصغي لأنين خافت يشبه حمحة فرس حزينّة.
وتألقت في أعماق النهر مآذن وقباب وقوافل مسافرة.
هناك في القيعان الخفية تسطع النجوم، ويغفو القمر بسلام، ويمتزج
الصهيل الكربلائي مع المياه المتدافعة صوب البحر.
وتغفو الفرس في أحضان الطين المعطور بعد يوم عصيب.
وفي المساء، عندما بدا نخيل الشواطئ كأهداب حورية شهيدة، فقد
الفرات مذاقه العذب، فاذا هو أجاج يلفظه الظمآن كما لو كان مترعاً
بملح الصحراء.
وعندما مرّت الغيوم، شاهد بعضهم غيمةً بيضاء تشبه فرساً مجنّحة
تشقّ طريقها في الفضاء الأزرق.. ترسم للأجيال طريق الحرّية.

تراقصت ألسنة النار المجنونة وهي تلتهم خيام القافلة...
 بدت كشيطانٍ يتميِّز من الغيظ.
 فرّت النسوة والأطفال هائمين في وجه الصحراء، وقطعان الذئاب
 تجوس خلال الخيام كريحٍ مجنونة.
 هبّت القبائل تسلب وتنهب، وتحولت تلك القطعة من أرض الله
 الى مسرح رهيبٍ، وقد ظهر ابليس ينفخ ويصفر.. يسخر من آدم..
 وبدا آدمٌ حزيناً على فردوسه المفقود.
 وكانت امرأة اسمها زينب تتألق وسط الناس... ترتل نداء السماء:
 يا نار كوني برداً وسلاما.
 تقدمت نحو الشمس التي كوّرت.. كانت تتنفس روحَ علي..

ترتدي حلّة أيوب النبي.
تقدمت نحو آخر القرايين السماوية.
اختفت الزهور والرياحين، وظهرت الاشواك حادة كإنصال
السكاكين.. ملأت الطريق.. الطريق الذي يؤدي الى الحسين.
قالت زينب وهي تجثو أمام جسد ممزّق:
- الهى تقبل منّا هذا القربان!
نهضتْ تلملم آلامها.. تبحث عن أطفال ونسوة فرّت مذعورة
كطيور هاربة من سفن بعيدة غرقت.
العيون الحاملة والقلوب الصغيرة فرّت خائفة. وكان «الرضيع»
ما يزال غافياً مصبوغ النحر بلون الأرجوان.
عواء الذئاب يمزّق وداعة الرياحين. واستحالت الاشياء الخضراء
الى رماد تذرّوه الرياح.
كل شيء بات يهتزّ بشدّة.. الموجودات تتأرجح كما لو أن زلزالاً
ضرب الأرض، فبدت مجنونة، وهي تمخر غبار الكون.
أن للقافلة أن تستأنف رحلتها، وقد ظهرت امرأة ترتدي صبر
الانبياء.. عنفوان الرسالات.. وكان اسمها زينب...
أن للقافلة أن ترحل.
رفعت النوق أثقالها... وانتشلت سفن الصحراء مراسيمها...

وبوصلة التاريخ تشير الى المدينة المشهورة بالغدر.
ومن بعيدٍ لاحت الكوفة ذليلاً خاويةً على عروشها.
قالت زينب وهي تستقي صبر الحسين:
- لن يموت من رأسه فوق الرمح... انظر انه يرتل سورة الكهف.
قال فتى عليل أفلت من أنياب الذئاب:
- انهم يقتلون الحرّية.. والانسان.
- الروح العظيمة لا تعرف الموت.. انهم يرفعونها عالياً فوق ذرى
الرماح.

وأردفت المرأة المتوشحة بالصبر:
- انظر يا بن أخي سندخل الكوفة.
- يا عمتي اننا ندخلها اسرى.
- بل فاتحين.. وسينجلي ذلك ولو بعد حين.
- وهذه الحبال وقيود الحديد.
- ستلتفّ حول أعناق الذين غدروا. انهم لا ايمان لهم. صبراً يا بقية
جدي وأبي واخوتي، فوالله ان هذا العهد من الله الى جدك وأبيك،
ولقد أخذ الله ميثاق أناسٍ لا تعرفهم فراعنة هذه الارض، وهم
معروفون في أهل السماوات.. انهم يجمعون هذه الجسوم المضرّجة
فيوارونها، وينصبون بذاك الطف علماً لا يُدرس أثره.

عصف الأرق بأمّ سلمة... غادر النوم عينها الساهرتين... تراقب
النجوم وهي تومض من بعيد.

مذ غادر الحسين الحجاز والرؤيا لا تفارقها
مذ رحل السبط الى ارض السواد، وهي ترى النبي حزينا مكتئباً.
وعندما تنحسر الرؤيا، تتذكر حزن الحبيب يوم فقد ابنه ابراهيم.
عاقته ثم قال - وعيناه تدمعان: أنا بك لمحزونون.
ولكن حزنه الآن حزنٌ عميقٌ.. كبر سحيقة.
لم تشاهده بهذه الحال أبداً.

رأت شعره المتموّج تموّج الصحارى. رأته أشعث، ورأت وجهه
القطني المشربّ بحمرة الشفق مغبراً، وعلى رأسه التراب.

هدّ أمّ المؤمنين القلقُ. كانت تدرك في قرارة نفسها أنّ شيئاً رهيباً
قد وقع، فالحسين في أرضٍ طالماً غدرت بأبنائها.

أغمضت عينيها الواهنتين، فرأت الحبيب مرّةً أخرى. أفرزها
منظره.. كان ينكت التراب عن رأسه، وبدأ شعره أشعث مغبراً:

- مالي أراك اشعث مغبراً يا رسول الله.

أجاب آخر الأنبياء، وعيناه تدمعان:

- قُتل ولدي الحسين، ومازلت أحفر القبور له ولأصحابه.

انتهبت أمّ سلمة من الحُلم.. وجدت نفسها تبكي بصوت يشبه

نشيج الميازيب في مواسم المطر.

البكاء يشقّ طريقه في الليل.. يتسلّل من خلال الظلام الذي يغمر

المدينة قبل الساعة التي ينفلق فيها الفجر.

النجوم ما تزال توامض كقلوبٍ واهنةٍ اجهدها النبض.

أسرعت أمّ سلمة إلى قارورة فيها قبضة من ترابٍ كان جبريل قد

أحضرها من شيطان الفرات.

كانت القارورة تفور دماً عبيطاً.. كجرح بعيد الغور.. بركان من دم

ثائر.

- واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة... اليوم مات رسولُ الله...

فاطمة الزهراء.

غبرة كثيبة لقت المدينة التي فقدت مجدها...
ها هو أبو سفيان يقود جيوشَ الشرك مرّة أخرى، وقد عاد ليثأّر
من بدر.. يثأّر لأبي جهل، وأمّية، والوليد، وهبل، واللات والعزى.
- اين أنت يا رسول الله؟.. هلّم الى سبطك تتخطّفه سيوف القبائل..
هلّم لترى ما يفعل طلقاؤك.. لقد سرقوا منبرك.. ينزّون عليه قرده
وخنازير.

وها هم اليوم يمزّقون قلبك.. يمزقون صدر الحسين!
انهم يطعنون المزن في السماء.. فيا أرض اعطشي.. يطفثون وهجة
الضياء.. فيا شمس ارحلي.. يسحقون الورد والريحان.. فيا أرض
اهمدي.

وحين غاب الحسين حلّ زمن القهر، وبدت خيول العرب ذليلة..
ذليلة كصبايا السبي.

ومضت أمّ سلمة تحثّ الخطى الى رسول الله.. تعزّيه في ريحانته..
أما الزهراء فما يزال مثواها مجهولاً يرسم علامة سؤال كبير يستفهم
التاريخ.

استيقظت المدينة خائفة تترقّب.. أطلّت عيون زائغة..
الأفاعي التي فرّت من مكّة ظهرت رؤوسها في دمشق... فحيحها
يملاً الفضاء.. يكاد يخنق كلمات السماء.

وانبعث ابو جهل يكرع كؤوس الخمر، ويعربد.
وفترّ بلال وعمّار وسلمان.. كانوا يبحثون عن رسول الله، فلقد همي
الوطيس.. وطيس المعركة.

الغروب الحزين يقرض منازل المدينة المشهورة بالغدر، توهّجت
 ذرى النخيل بحمرة تشبه الجمر، فبدت كجراح متألّقة.
 دخلت القافلة التي جاءت على قدرٍ العاصمة الدارسة.
 كموس عجوز بدت الكوفة ذلك الغروب.
 احتشدت جموع مذهولة حول القافلة العجيبة.
 سألت امرأة كوفية ربّما لتمسّ الجراح:
 - من أيّ الأسارى أنتم؟
 وجاء الجواب الصاعقة:
 - نحن أسارى آل محمد.
 وأومات بنت محمد الى الناس، فسكنت الأصوات، وبلغت القلوب

الحناجر.

وبدت وهي فوق ناقتها ملاكاً قادماً من السماء.
سكت الناس، وتوقف التاريخ يصغي الى كلمات عليّ تنبعث من

جديد:

- اما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المختل والغدر. أتبكون فلا رقأت
الدمعة، ولاهدأت الرنة. انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد
قوة أنكاثا، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم. ألا وهل فيكم الا الصلف
الظف والعجب والكذب والشنف، وملق الاماء، وغمز الاعداء.
كمرعى على دمنة أو كقصة على ملحودة. ألا بشس ما قدمت لكم
انفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.
كلمات تشبه الصواعق. وبدت الجموع كشواهد قبور دارسة
تحترق.

كان الصمت ما يزال جائماً فوق المكان كغراب اسطوري، وكانت
الكلمات وحدها تدوي في أذن التاريخ:

- أتبكون وتنتحبون، اي والله فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً، فلقد
ذهبت بعارها وشارها... فتعساً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي،
وتبت الايدي وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله،
وضربت عليكم الذلّة والمسكنة... ويكلم يا أهل الكوفة! أتدرون أي

كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي حرمة له انتهكتم،
وأأي دم له سفكتم؟! لقد جئتم شيئاً إداً.. تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الأرض، وتخرّ الجبال هدأً... لقد أتيتم بها خرقاء شوهاء
كطلاع الأرض وملء السماء. أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب
الآخرة اخزي، وأن ربكم لبالمرصاد.

كانت الكلمات تتدقق قوية كإعصار فيه نار، وكان سهيلٌ غاضب
يتردد من بعيد... قادماً من أرض كربلاء...

ما يزال الحسين يقاتل. فالحسين لا يعرف الموت. لقد كشف سرّ
الخلود، ومزّق بسيفه حجب الزمن. وها هي زينب تشير بيدها نحو
الدرب.. الدرب الذي خطّه الحسين.

تساءل صوتٌ مدهوش:

- ولكن الحسين ما يزال في الرمضاء.. جسداً بلا رأس!!

- مجرّد إغفاءة.. وسينهض الفارس الذي دوّخ القبائل.. سيلمع

سيفه كبروق السماء، وسينبعث جواده من مياه الفرات، وعندها
ستشتعل المعركة من جديد....

كربلاء معركة متجدّدة في كل أرض مظلومة وفي كل زمان جائر.
وستغدو كلّ بقعة من دنيا الله كربلاء، وسيمتدّ يوم عاشوراء ليشمل
كل الزمن. سيصبح أطول يوم في التاريخ، بل سيستوعب التاريخ كلّه.

- ها هي زينب.. ها هي بنت علي.
هتف حراس القصر، وهم يتطلعون الى قافلة قادمة.. قافلة
تحوطها ذئاب غبراء.

ها هي زينب تتقدم بخطى واثقة.. تدخل القصر.. ينبض في
صدرها قلب علي، ويتألق في عينيها بريق الحسين.
وتتفتح الأبواب أمام موكب من الأسرى.. تطفح فوق وجوههم
العزة والإباء. العيون النفاذة تخترق أستار الزمن، تنظر الى ما وراء
الأيام....

لقد سقط يزيد وابن زياد.. تحطمت عروشهم، وتهاوت قصورهم.
إنهم لم يعودوا سوى جثث متعفنة غادرتها الروح.
أناخت القافلة رحلها في قصر يكاد يميد بأهله.. قصر تحرسه
رماح ونبال.

جلس الأرقط متربعاً على عرشه. عيناه تقدحان شرراً، وماتزال
سكرة الليل ترسم آثارها فوق وجهه... وفي عينيه لاحت كؤوس من
خمرة ودماء.

كان يتصفّح وجوه «أسراه». توقّف عند أحدهم. تسمرت عيناه
وارتدّ بصره خاسئاً وهو حسير، فهؤلاء لا تلوح عليهم سمات الأشر
أو القهر.

نظرات متحدية تصفعه من كل صوب. وكانت ذلة الأشر تلوح
فوق حراسه وجلالوزته.

سأل الأرقط وقد غاظته هيئة «الأسرى»:

- من هذه المتكبرة؟! -

كان الصمت المشوب بالاحتقار صفة أطارت بقايا نشوة تطوف
في رأسه.

لم تجب المتكبرة.

حاول أحد الجللازة انقاذ هيبة سيده، فتمتم:

- انها زينب... زينب ابنة علي.

لمعت في عينيه شهوة الانتقام:

- الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوئتكم.

وانتفضت المرأة الزوبعة:

- الحمد لله الذي أكرمنا بنبية «محمد» وطهرنا من الرجس تطهيراً.

وانما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال الأرقط متآمداً في شماته ونفاق:

- كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

أجابت بنت محمد وهي تنظر الى ما وراء الحوادث:

- ما رأيت إلا جيلاً. هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى

مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن

الفلج يومئذ. ثكلتك أمك يا بن مرجانه.

لم تنته المعركة بعد. هناك جولات أخرى.. جولات مريرة عنيفة.

كاد يتميِّز غيظاً، وبدا كأفعى رقطاء تهمُّ بابتلاع ضحيّتها.
 زاغت عيناه تطاير منها شرر كشرر الجحيم المستعرة، وثار بركان
 حقدٍ في أعماقه، فنظر الى أحد جلاوزته.
 كلن رأس الحسين صامتاً، وكان صمته المحيّر يتكلّم بلغة عميقة أو
 صرخة مدوِّية تكاد تعصف بالقصر وساكنيه.
 كفحيح حيّة جاء صوت الأرقط:
 لقد اشتفيت من الحسين والعصاة المرّدة من أهل بيتك.
 تساءلت المرأة المقهورّة: كيف أمكن لخنزير أن يسرق منابر
 الصديّقين، تمتت بحرقه:
 - لعمرى لقد قتلتَ كهلي، وقطعتَ فرعي واجتثتَ أصلي، فإن
 يشفِكَ هذا فقد اشتفيت.
 أدارت الافرعي رأسها نحو فتى عليل.. فتىّ ادّخره القدر لزمن آخر.
 سأل الارقط: ما اسمك؟
 اجاب الفتى باعزاز: عليّ بن الحسين.
 - أو لم يقتلِ اللهُ عليّاً؟!
 - كان لي أخ أكبر منّي يُسمى عليّاً، قتله الناس.
 - بل قتله اللهُ.
 ردّ الفتى؛ والحكمة تنفجّر من جوانبه:

- الله يتوقى الأنفس حين موتهما، وما كان لنفس لتموت إلا بأذن الله.
زاغت عينا الأرقط غيظاً. أشار الى أحد جلّاديه

- اضرب عنقه!

هبت عتمه معترضة:

- حسبك يا بن زياد من دماننا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير
هذا، فإن أردت قتله فاقتلني معه.

زاد الفتى من تحدّيه. إنه لا يرى سوى خرائب قصر ولا يرى
سوى جثث متعفّنة:

- اما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة؟!!

الشهادة ليست موتاً بل خلوداً... الموت ان يتعفن الإنسان.

والذي يعبر جدار الزمن وأوداجه تشخب دماً ليس ميئاً.

لا يموت من يصبغ الأرض بلون الشفق الدامي.

بدا قصر الإمارة وشط الظلمة كغرابٍ يبحث في الأرض.. يريد
 نبش قبر قديمٍ عني' عليه الزمن.
 وصمت رهيب يسيطر على' زوايا القصر ما خلا صوت بومة
 ترسل هاهاتها متقطعة.

كان الأرقط يذرع البهو ويده كأس. وبدا مخموراً بعض الشيء.
 وكان «الأبرص» منسجماً إلى نفسه، والرجل الذي قاد القبائل
 على شاطئ الفرات يداعب لحيته الشعثاء، وهو يحملق في الفراغ..
 ينظر إلى أحلامه تتبدد.. تتبخّر.. وصبايا الري وجرجان تفرّ مذعورة
 بين يديه.

منذ «عاشوراء» والأرقطُ تعصف به الهواجس.. ينتابه القلق..

يهبّ من نومه مذعوراً، تطارده الأشباح.. أشباح لا يعرفها.. يتقدّمها
رأس الحسين على ریح طويل. اما هو فكان يلهث مسهور الأنفاس
تائهاً في صحراء مترامية مليئة بالأفاعي؛ تتم بحقد:

- ماذا لقيتُ من الحسين؟! -

دون شعور سقطت الكأس من يده

رفع الأبرص عينه. كان ينظر بحقد. واستيقظ الرجل الذي كان

يحمل بالري وجرجان.

شعر الأبرص بجرقه في نحره. منذ أيام وهي تلسعه بنار.

ركض الى بركة الماء. بلّل نحره، ولكن بلافائدة.

هتف الأرقط ساخراً:

- ما تزال تحرقك... أعني قطرات الدم.

صوّب الأبرص عينين متأرجحتين:

- لماذا تسخر مني؟ إنها قطرات من نار لا من دماء... صدّفتني إنني

أخلط خمرتي بدماء قتلاي. ولكن هذا الدم كان يختلف. إنه اللهب

بعينه

قهقه الرجل الحالم:

- ولكنك جثمت على صدره كغراب أبقع.

ردّ الأبرص منتشياً:

- أنت لا تدرك اللذة التي شعرتُ بها وأنا أعلو صدر الحسين. كان ربوة من ربيع تفوح منه روائح أطيّب من المسك. يابن سعد! لقد ارتقيتُ قمةً المجد.

الأبرص ما يزال منتشياً، أسكرته لحظة الانقراض.
الرجل الحالم قطع قهقهته فجأة. زاد اتساع عينيه كأنما ما يزال يراقب مشهداً مثيراً على شاطئ الفرات.

الحسين ما يزال يقاتل الألوف غير عابئ بالسهم والرماح،
وسيوف القبائل تحاول أن تتخطفه. اندفع نحو الفرات كزوبعة غاضبة.
وبدا الفرات تحت حوافر جواده كأفعى ذليلة لشدّ ما هزّه منظر
الحسين. أيّ رجل هذا؟!

غطّى وجهه بكفيه. أراد أن يطفى اشتعالات مشاهد مضيئة كبروق
سماوية.

ما تزال الخيول المجنونة تركض بعنف، فيتردد صداها في أعماقه
هزّات عنيفة مدمرة تعصف بأحلامه فتتبدد.

كان الأرقط يراقب صاحبيه من طرف خفي. أدرك ما يعتمل فيها.
لوّح بسوطه في الهواء، وصرخ:
- انني أنفذ أمر الخليفة.

الليل يغمر الأرض بظلمة حالكة. وبدت الصحراء المترامية امرأة
متشحة بالسواد حزناً على أبنائها. النخيل الذي يحفّ بشطآن الفرات
بدا كرماح مركوزة في الرمال .
خُيِّلَ إليه أنه يسمع صهيلاً ينبعث من أعماق المياه المتدفّقه..
اقترب أكثر فاكتر.. فكاد يسقط دهشة... مواكب من شموع تتألق
وأصوات تشبه البكاء.

كان الرجل الأسدي يحدّ النظر.. يريد أن يتعرّف أحدهم، لكن
بصره ارتدّ حسيراً.. تقهقر الى الوراء.. سيطرت عليه رهبة المكان.
خُيِّلَ إليه أنه يرى جواداً ينبعث من نهر الفرات. كان الجواد يشبه
غيمةً بيضاء تنساب فوق الرمال الناعمة. ورأى رجلاً يستيقظ.. راح

الجواد يبرِّغ ناصيته يشمّه ويحمم بحزن.
نهض الرجل النائم.. مسح على رقبة جواده، ثم راح يوقظ النائمين
واحداً بعد الآخر.

استيقظوا جميعاً. كانوا سبعين أو يزيدون.

وهتف الرجل الذي أيقظهم:

- أنا الحسين بن علي آليت ألا أنثني

انتبه الرجل الأسدي.. فرك عينيه. كان الفجر قد لاح من وراء
النخيل.. فجر يشبه الرماد.

وشيئاً فشيئاً تبددت الظلمة، ولاحت له اجساد القتلى مقطّعة

الرؤوس.. متناثرة هنا وهناك، كنجوم منطفئة.

حلّ اليوم الثالث عشر من محرّم. شمس كئيبة حزينة. ترسل أنواراً

باهتة. تلمح أجساداً مقطّعة الرؤوس، وكانت الريح تعدو كذئبة مجنونة

تثير غباراً كدخان الحرائق.

وجاءت نسوة أسديات، ورجال كانوا يبكون بحرقة. وتعالّت في

الفضاء تأوّهات هاويل، وهو يشكو ظلم أخيه.

وقف بنو أسد حيارى لا يدرون ما يصنعون.

حاول بعضهم أن يتعرّف القتلى ولكن لا جدوى. حتى «ابن

مظاهر» ضاع عليهم.

كانت الاجساد مضرّجة مرّقتها حوافر خيل قاسية.

وجاء فتى 'يسعى'.. عليه سياء النبوات. ووقف بنو اسد مدهوشين،
وهو يشير الى الأجسام المجهولة.

- هذا جسد أبي

وتمم وهو يواريه الثرى:

- طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطاهر... الدنيا بعدك مظلمة
والآخرة بنورك مشرقة، اما الليل فمسهد وأما الحزن فسرمد.

ومشى الفتى الى جسدٍ آخر كان مقطوع الرأس واليدين.

قاعتقه وراح يبكي:

- على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم... سلام عليك من شهيد

محتسب ورحمة الله.

ومرّ النهار، ونكت الفتى يديه من التراب، ونظر الى الفرات. كان

يشعر بظماً شديداً...

اغترف من الماء، وهمّ أن يشرب، ولكنه رمّاه بعنف كما لو كان سماً.

تذكّر كلّ تفاصيل ملحمة الظمأ، وهي تجري على شواطئ نهر يموج
بالمياه.

نهض الفتى وألقى نظرة احتقار على الفرات، وطفرت من عينيه

الدموع وهو يولي ظهره للشواطئ. وبد النهر كثيباً كخيظ من الملح.

وشيئاً فشيئاً كانت أصوات مناحة بني أسد تخبو في أذنيه، وهو يتخذ

طريقه نحو مدينة غدرت بأبيه.

بدا الجامع الأعظم مكتتباً، كناسك حزين. ورغم الضجة المتصاعدة، فقد بدا مقفراً، وضاعت آيات القرآن بين لفظ الكوفيين الذين تجمروا في الظهيرة المحرقة.

نزّ الأرقط على المنبر، وراح ينظر الى الناس باستعلاء. الشرر يتطاير من عينيه كشظايا جحيم مستعرة. هتف بغطسة وقد فقد السيطرة على لسانه:

- الهمد.. الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله.. ونسر امير المؤمنين يزيد وهزبه، وقتل الكذاب ابن الكراب الهسين بن علي وشيعته.
ضحك أحدهم بمرارة، وهو ينظر الى هذا الألكن الذي نزّ على منبر علي.

لقد مضت أيام البلاغة والفصاحة. مضت دون عودة، وورث المنبر
قردةٌ وخنازير يسومون الناس سوء العذاب.

كان الصمت يخيم فوق الرؤوس التي أطرقت ذلاً...
فجأة هبَّ رجل مكفوف البصر:

- يا بن مرجانه! الكذاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه.. أتقتلون
أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟!

فوجئ الأرقط، فصرخ بغيظ:

- من المتكلم؟.

- انا المتكلم يا عدو الله! تقتلون الذرية الطاهرة التي أذهب الله
عنهم الرجس، وتزعم أنك على دين الاسلام... واغوثاه! أين أولاد
المهاجرين والانصار؟!

استشاط الأرقط، وهتف بجلاوزته كأفعى حانقة:

- عليّ به .

هتف الرجل المكفوف البصر بشعار الأزد:

- يا مبرور!

وتواثب الرجال هنا وهناك، وانتزعه من بين أنياب الكلاب.

وقال رجل أزدي بإشفاق:

- لقد أهلكت نفسك وعشيرتك

مضت الساعات ثقيلة، وباتت الكوفة تترقب حادثة ما، وبدا
قصر الإمارة كوخشي رابض في الظلام.
كسرت حوافر الخيل هدأة الليل.. كانت تندفع نحو منزل رجل
مكفوف البصر.. بصير القلب.
واقتمحت الذئاب داره بعد أن حطمت الباب، وكانت له صبيّة
فصاحت:

- وأبتاه!

- لا عليكِ ناوليني سيفي .

- ليتني كنت رجلاً أذبّ بين يديك.

كان الرجل يقاتل في الظلام؛ وأحاطت به الذئاب فسقط اسيراً بين
الأنياب.

وهتفت ابنته:

- واذلاه! يحاط بأبي وليس له ناصر!

وفي القصر، فرك الأرقط يديه جذلاً، وقال بشماتة:

- الحمد لله الذي أخزأك.

- وبماذا أخزاني يا بن مرجانه؟!

قال الأرقط بنفاق:

- ما تقول في عثمان؟

- ما أنت وعثمان، أساء أم أحسن، أصلح أم أفسد؟ ولكن سلني
عنك وعن أبيك وعن يزيد وأبيه.

- لأذيقنك الموت.

فقال الازدي بطمأنينة:

- لقد كنت أسأل ربي الشهادة من قبل أن تلدك امك، وسألته أن
يجعلها على يدي ألين خلقه وأبغضهم إليه.
جحظت عينا الأرقط غيظاً:

وأشار الى جلاوزته، وسرعان تدحرج رأس الشيخ؛ وكانت
ابتسامة تلوح على وجهه.

ودعا ابن زياد بأزدي آخر، كان في الطامورة، فجيء به، يخطو
على وهن.. أثقلته السنون والسلاسل والقيود.

قال الأرقط بصفاقة، وقد اجتاحتته رغبة في سفك الدم:

- أأست صاحب أبي تراب في صفين؟!

- نعم وإني لأحبه، وأفتخر به، وأمقتك وأباك، سيما الآن وقد قتلت

سبط الرسول.

اجاب الأرقط باستهتار:

- إنك لأقلّ حياء من ذلك الأعمى

وهم الأرقط بقتله، فحدق به ثم تمتم في نفسه:

- إن هي إلا أيام وينفق..

وأردف وهو يصرّ على أسنانه:

- لو لا أنك شيخ قد ذهب عقلك لقتلتك

وتساقطت السلاسل من بين يديه. وعندما خطا باتجاه الحرّية

كانت عيناه تفيضان من الدمع حزناً. وغبط في نفسه صاحبه الذي

رُزق الشهادة بعد أمدٍ طويل.

وعندما غادر الشيخُ القصر كان الأمل يكبر في قلبه الواهن بأن

يلتحق بصاحبه ولو بعد حين.

كاد قصر الخضراء يهتزّ طرباً، فيزيد بدا ذلك اليوم يطير فرحاً،
 كان يلاعب قرده باستمرار.. ينظر من نوافذ قصره المنيف الى باب
 الساعات، فأسراه سيدخلون دمشقَ بين لحظة وأخرى. لم يتالك نفسه
 فراح يتغنّى بصوتٍ عال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
 لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
 قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل.
 لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
 لست من خندف ان لم انتقم من بني احمد ماكان فعل.
 ولعت عيناه وهو ينظر الى ثمالة كأس فكرعها. ودبت النشوة في

رأسه كطواير النمل.

بدأت دمشق في يوم الزينة كموس تعرض بضاعتها على قارعة الطريق، ولغظ الشاميين يرتفع كطين الذباب، والذباب لا يفرق بين العسل والنفايات.

أطلّ «صفر» بوجهه الكئيب، وكانت القافلة قد توقفت في «باب الساعات»، ونعب غراب قبل أن يخفق بمخايعه السوداءوين.

تمتم يزيد متشقيماً وهو يطلّع إلى ثارات بدّر، واجتاحته رغبة عارمة بالغناء، فأطلق عقيرته:

لما بدت تلك المحمول واشرقت

تلك الرؤوس على شفا جيرون

نعب الغراب فقلتُ صبح أو لا تصح

فلقد قضيتُ من النبي ديوني.

كانت دمشق ترقص على دفوف أهلها، والأبواق تدوي في

الفضاء، وتذكرّ يزيدُ جدّته (هند)، وهي تصدح غداة «أحد»:

إن تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق

القافلة المقهورة تشقّ طريقها كسفينة تعصف بها ربح مجنونة..

يتقدّمها رأس آخر الأسباط على ربح طويل، فبدا كعملاق من عمالقة

التاريخ. ودنا شيخ من فتى في العشرين من عمره.. كان ينوء بثقل

سلاسل القهر. هتف الشيخ:

- الحمد لله الذي أهلككم، وأمكن الأمير منكم .

نظر الفتى اليه، وخاطبه بإشفاق:

- أقرأت القرآن يا شيخ؟

قال الشيخ مأخوذاً:

- بلى

- أقرأت: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى؟

- نعم قرأت ذلك. ماذا تعني؟

- نحن القربى يا شيخ... أقرأت: «إنما يريد الله ليذهب عنكم

الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً»؟

- نعم قرأت ذلك.

- نحن أهل البيت يا شيخ .

- بالله عليك، أنتم هم!

- نعم، وحق جدنا رسول الله إنا لنحن هم.

وقع الشيخ.. كأن الأرض تهتز تحت قدميه.. كان ينتحب ويولول:

- أبرأ الى الله ممن قتلكم..

وما أسرع أن احتوشته الجلاوزة، كحمل سقط بين مخالب قطيع من

الذئاب.

وتساءلت امرأة دمشقية:

- من أيّ السبايا أنتم؟

فقالت سكينه بحزن:

- نحن سبايا آل محمد

ومضت القافلة في طريقها الى قصر بُني على الظلم ماله من قرار.
وفي باب القصر توقفت القافلة، وجيء بالحبال، فربق بها آل
الرسول، وضعوا طرفه في رقبة فتى في العشرين؛ أنهكته السلاسل
والقيود، ثم في رقبة زينب بنت علي! ثم باقي بنات محمد! وكلما تعثر
الاسرى في طريقهم انهالت عليهم السياط من كل جانب.

وتذكرت زينب عزاً قديماً بدّدته أيام الزمن الخالي.. يوم كانت
تخرج يحفّ بها فتية بني هاشم. وها هي الآن تُساق أسيرة الى أولاد
الطلاقاء. لشدّما يقسو الدهر.. ولكن كل شيء في عين الله، ولقد أوتيت
زينب صبراً دونه صبر أيّوب.

وأدخلت الرؤوس، وكان رأس الحسين على ریح طويل.
وفي تلك الليلة ضاعت آيات القرآن وشط دفوف مجنونة تحتفل
بنصر الخليفة الجديد؛ الذي زين قزده الأثير قلادة جديدة من الذهب
المرصع بالياقوت الأحمر.

دمشق تغمرها ظلمة.. تلاشت زينتها، وبدت المدينة كراهبة
مكتّبة، وعلى باب جيرون كان رأس الحسين مصلوباً، حيث صُلب
رأس يحيى بن زكريا.

دمشق صامتة كأنّ على رأسها الطير. وفي باب الساعات كانت
حية من نحاس تُخرج رأسها المثلث في كل ساعة، فتسقط حصة في
إناء نحاسي، وكان غراب من نحاس يشير الى الوقت دون اكرات،
وها هو الزمن يعود الى الوراء.. يستعيد حوادث قديمة.. قديمة جداً.

كان صوتُ يحيى بن زكريا يدوي في السجن:

- آه من الخليفة العاهرة.. ابنة بابل!

ليرجمها الناس بالحجارة، فتزول الآثام من الأرض، والآ

فسترتدي السماء ثوبَ الحداد، ويصير القمر بركةً من الدم، وستسقط
النجوم على الأرض، وسيحلّ الرعب في قلوب الملوك.

كانت «سالومي» تصغي بمحمد الى كلمات يحيى تفجّر الغيظ في
صدرها.. وزادها الشيطان فتنة.

همست في أذن هيرودس:

- سأرقص من أجلك.

وجنّ هيرودس:

- أعطيك ما تشائين. امنحك نصف مملكتي.

أغرقت الجوّاري «سالومي» بالعطور.

هتفت بخلاعة:

- بقدمين عاريتين سأرقص لك.. بقدمين مثل حمامتين بيضاوين

سأرقص لك.

هبّ هيرودس من عرشه:

- آه... رائع.. عظيم! لقد رقصت من أجلي. اقتربي يا سالومي

سأعطيك كلّ ما تشتهين.. أقسم بألهتي.

خرّت «ابنة بابل» عند قدميه:

- أريد أن تقدّم لي في طبق من الفضة... رأس يحيى.

- لا.. لا يا سالومي

- ولكنك أقسمت بأهلك!

- لن أفعل! اطلبي مني شيئاً آخر. أعطيك نصف مملكتي.

- أريد رأس يحيى

لعبت الخمرة برأسه، وانتزعت اصابع (ابنة بابل) خاتم الموت من يده، وسقط رأس يحيى ابن زكريا عند قدمي «سالومي»
في طبق من الفضة كان رأس يحيى يتألق في الظلام.
وقالت «سالومي» منتشية:

- ان عينيك اللتين كانتا مخيفتين قد أغلقتا الآن، ولسانك لا يتحرك، لن يقول شيئاً هذا اللسان... أنا سالومي ابنة بابل.. الأميرة اليهودية.. مازلت أحياء.. أما انت فقد مُتت.. لقد أصبح رأسك ملكاً لي أفعل به ما اشاء. سوف أرميه لنسور السماء.

ارتجف هيرودس لهذه الراقصة تتشقى من يحيى.. صرخ بهلع:
- هذه المرأة تعجّ بالشرور...

وخاطب جنوده:

- اطفئوا المشاعل.

كان يريد الهروب... وفيما هو يغادر قاعة الحفل، حانت منه التفاتة.
كانت سالومي ما تزال تخاطب رأس النبي. كانت تحمل طبق الفضة،
وتدور به - مجنونة - أروقة القصر.

صاح هيرودس بجنوده:

- اقتلوا هذه المرأة.

وتدافع الجنود لسحق امرأة داعرة، فسقطت ممزّقة، وعلى وجهها
آثارُ رغب وخوف، وكان وجه يحيى يسطع نوراً.
وبدا قصر هيرودس مخيفاً.. نوافذه مشرّعة تعصف بها الريح من
كل مكان.

رأس الحسين ما يزال مصلوباً على باب جيرون، الرهبان ينظرون
اليه من بعيد، فيرون ملاح يحيى بن زكريا، فتفيض أعينهم من الدمع
حزناً.

رأس الحسين في طبق من ذهب بين يدي يزيد... وكان ابن معاوية
 ينكت ثغر السبط بقضيب في يده.
 التفت الى ابن بشير، وكان يوماً ما أميراً على الكوفة:
 - الحمد لله الذي قتله
 قال الأنصاري بجزن:
 - قد كان أبوك يكره قتله.
 - قد كان ذلك قبل أن يشهر سيفه، ولو شهر سيفه على أبي لقتله.
 - وقال رجل رأى النبي وسمع حديثه:
 - أشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن، ويقول:
 أنتما سيدا شباب أهل الجنة. قتل الله قاتلكما.

استشاط سليل آكلة الاكباد. وما اسرع أن تناوشته الجلاوزة،
وسحل الى خارج القصر.

وكان رسول القيصر يتأمل رأس الحسين، وفي أعماقه تموج
تساؤلات:

- إن عندنا في بعض الجزر حافر حمار عيسى، ونحن نحجّ اليه في كل
عام ونهدي اليه النذور، وانتم تقتلون ابن نبيكم؟!
نهض النصراني، وتقدّم بخشوع ليقبل رأس الحسين.
تحيل نفسه يعانق يحيى بن زكريا، أو المسيح بن مريم.
استشاط ابن معاوية غضباً، فتدحرج رأس النصراني الى جانب
رأس الحسين، وسمع من له أذن واعية رأس السبط يتمتم:
- لا حول ولا قوة الا بالله

والتفت يزيد الى فتى الحسين:

- أرايت صنع الله بأبيك؟!

قال الفتى

- أرايت قضاء الله

تمتم يزيد بنفاق:

- ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم.

قال سليل الأنبياء:

- «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»

وبدا الفتى - وهو في الأغلال - كأسد أوثقه الصيادون، فخاطب يزيد:

- ما ظنك برسول الله لو يراني على هذه الحال؟!
ونهض خطيب السلاطين، وأمعن في مدح معاوية ويزيد وسبّ عليّ والحسين، فصاح به الفتى:
- لقد اشترت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبواً مقعدك من النار.

وكان رجل شامي ما برح يتطلع الى بنات محمد، فنظر الى فاطمة بنت الحسين وتمنى أن يهبها له الخليفة جاريةً تخدمه.
تعلقت الفتاة بعمتها زينب كغريق يتشبث بعمود من أعمدة سفينة محطمة تتقاذفها أمواج الطوفان.

قالت زينب بثبات:

- لا تخافي. لن يكون ذلك أبداً.

ردّ يزيد متغطرساً:

- لو شئت لفعلت.

- فقالت ابنة علي:

- إلا أن تخرج عن ديننا.

- إنما خرج عن الدين أبوك وأخوك.

- بدين الله ودين جدي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك، ان كنت

مسلياً.

- كذبت يا عدوة الله.

- أنت امير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسطانك.

عاود الشامي الأحق:

- هبها لي يا أمير المؤمنين.

ودّ يزيد لو يسحق هذا الاحق، فنهره بشدة:

- وهب الله لك حتفاً قاضياً.

أطبق الصمت على المكان، وكان التاريخ يتساءل عن المنتصر في

كربلاء؛ يزيد أم الحسين. فنهضت امرأة رافقت الحسين على قدر تقول

كلمتها معبرة خالدة:

- صدق الله سبحانه حيث يقول: «ثم كان عاقبة الذين أساءوا

السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون».. أظننت يا يزيد

حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما

نُساق الأسارى أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة... فهلاً مهلاً

أنسيت قول الله تعالى: «ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين... فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك. ولتردنّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت حرمة في عترته... وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً، وبجبريل ظهيراً، وسيعلم من سؤل لك ومكّنك من رقاب المسلمين. بئس للظالمين بدلا. وأيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرّت عليّ الدواهي يا يزيد مخاطبتك، اني لاستصغر قدرك. فكديك، واسع سعيك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحيناً، ولا يرحض عنك عارها. وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: الالعة الله على الظالمين.

تضائل يزيد حتى أصبح كذباة أو يكاد؛ وربما لأول مرّة أيقن أن الحسين لم يقتل بعدُ وأنه ما يزال يقاتل في كربلاء، وها هو الآن على أبواب دمشق. فلعن في نفسه ذلك الأرقط الاحمق؛ إنه لم يقتلهم جميعاً، ها هي زينب تحمل قلب الحسين وفصاحة علي وهيبة محمد. وها هي الشام تتساءل عن رجل اسمه الحسين وعن امرأة اسمها زينب.



غادرت القافلة ربوع الشام في طريقها الى كربلاء، وعرف الدليل
الطريق، وراحت القافلة تسابق أمواج الفرات.
وتساءل الأطفال عن جنودٍ ورماح كانوا يحرسون النهر.. يحرمون
القلوب الظائمة والأكباد الحرّى من قطرة ماء.
وكانت الطيور والغزلان تمرح في الشواطئ.. ترتاد النهر بحريّة.
- لو تدري أيها النهر! عن قلوب ذوّت عطشاً على شطآنك!!
كان الحسين يذوب ظمأً.. قلبه يتفطر، وأنت تجري.. تنثال مياهك
على الشواطئ.. تهبها الحياة، وتمنح الأرض السمراء عشبك
الأخضر... وفي عاشوراء تركت قلوباً صغيرة تتلوّى عطشاً، وكان
«الرضيع» يمدّ يداً صغيرة؛ يطلب قطرة ماء.. ما تزال يده ممدودة

تستفهم التاريخ والانسان.

لاحت ارض كربلاء من بعيد... الارض التي شهدت قبل اربعين يوماً مصرع الحسين.

سهام مغروسة في الرمال.. سيوف مهشمة وبقايا رماد..
قفزت الحوادث الرهيبة الى الذاكرة. تجسدت أمام العيون. وتردد صداها في القلوب.

هرولت «الرباب» الى كومة رمل صغيرة.. تضمّ رضيعها الشهيد!
احتضنت الرمل.. راحت تحنوه فوق رأسها:
- هلمّ اليّ يا صغيري..

وتساقطت قطرات من لبن سائغ فوق الثرى، فامتزجت مع الدموع.

كان الرضيع غافياً في أحضان الأرض التي لوّنها بدمه الرائق؛
وعندما هوّمت عيناها، رأت نافورة ماء تنبّس من نحر الرضيع
الشهيد. وكان الاطفال يدورون بين القبور كحماثم برّية تبحث عن
أعشاشها.

ووقفت زينب تتأمل الصمت المهيمن.. وهي تستعيد حوادث يوم
طويل.. يوم حطّم الحسينُ شَبَحَ الموت... يرسم بدمائه الطريق..
الطريق الى جنات تجري من تحتها الأنهار.. وشواطئ الفرات تحتزن

الملح... أمواجه سراب، وظلال الخيل رماد، والنهر حية يقهرها الظمأ.
والحسين يهوي بسيفه على صخور الزمن، فتنبجس منها ينابيع
الخلود... والحسين يقهر الموت، ينتزع من بين طواياه الحياة.
من بعيدٍ لاح «جابر».. رجل نصر النبي، وجاء اليوم يزور سبطه.
وكان مع الانصاري عصابة من بني هاشم.. سمَّ جابر رائحة النبي
فهوى يقبل قبر الحسين:

- يا حسين.. يا حسين.. يا حسين.. حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى
لك بالجواب وقد فرَّق بين رأسك وبدنك... أشهد أنك مضيت على ما
مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

وأجال جابر بصره الواهن بين القبور:

- السلام عليكم أيتها الارواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت
برحله.. أشهد انكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف
ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين. والذي بعث محمداً صلى الله
عليه وآله وسلم بالحق نبياً، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

فقال رجل كان معه، وقد اتسعت عيناه دهشة:

- كيف ولم نهبط وادياً ولم نعلُ جبلاً ولم نضرب بسيف؟!!

وتداعت في أعماق جابر كلمات قالها محمد من قبل:

- سمعت حبيبي رسول الله يقول: من أحبَّ قوماً كان معهم، ومن

احبّ عمل قوم أشرك في عملهم... والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن
نيتي ونية اصحابي على ما مضى عليه الحسين واصحابه.
كانت الشمس على وشك أن تغيب وقد بدت حمراء.. حمراء كعين
تسحّ دموعاً ثقلاً.

نهض جابر وقد تعفر وجهه بتراب الحسين. تمت بحديث لحبيبه كان
قد سمعه قبل اكثر من خمسين سنة، كان النبي يداعب صبيّاً في ريعه
الخامس ويقول: حسين مني وأنا من حسين...

هتف جابر وسط الصمت وكان الفرات يجري.. تتدافع أمواجه:
- اشهد أني قد سمعت ذلك من حبيبي محمد.

غابت الشمس خلف الرمال الممتدة، ونشر المساء ستائره
الرمادية فوق الأرض، وانبرى رجال يدقون أوتاد خيام صغيرة...
فرينب تريد البقاء الى جنب أخيها الحسين.

مضى يومان والقافلة التي غادرت الشام وما تزال في كربلاء تسقي
 رمالها دموعاً ساخنة بعد أن ارتوت من دماء الحسين وسبعين من
 حواريه.

انطلق الاطفال الى الفرات، وقد بدا والنخيل تحف شاطئيه حورّية
 نهضت لتوّها من النوم.

غمس الصغار ارجلهم في المياه، وكانت الامواج تغسل اقدامهم
 برفق... كأنّ النهر يعتذر اليهم عن يوم حرّمهم فيه من قطرة ماء.
 تذكروا أيام العطش. كانوا ينظرون جهة النهر... وكان النهر اسيراً
 تحرسه رماح وسهام. تذكروا صرخاتهم.. بكاءهم وهم يصيحون:
 -العطش.. العطش

وعادت صورة عمّهم «أبي الفضل» وقد اعتلى صهوة جواده..
حمل القربة واتجه صوب الفرات.. كانوا يترقبون عودته يحمل اليهم
الماء.. ولكن عمّهم ذهب ولم يعد... وظلّوا ينتظرون.

وبدت السماء في أعينهم صحراء ملتبهة، فلا مزنة تحمل اليهم
الودق. وكانت نفث الغيوم تعبر السماء كسفنٍ تائهة.

وقفت زينب تتأمل الفرات وقد بدا مرثية غارقة في الحزن..
وكانت الشواطئ تبكي.. تسحّ دموعاً فوق الرمال، وحفيف النخيل
يردد صوت امرأة تنوح بصمت.

استند طفل الى جذع نخلة سمراء بلون الصحراء.

كان يصغي الى نشيج الفرات وبكاء النخيل.. ينظر الى المياه
المتألقة، فيشاهد نجومًا وقمرًا منيرًا. هوّمت عيناه فرأى حصاناً ابيض
ينبثق من النهر.. ينقل خطاه، والمياه تتثال منه.. ترسم درباً ندياً..
ورأى الحصان يضرب الأرض.

عمّه «أبو الفضل» يعتلي صهوة الحصان، وينطلق صوب الفرات
والقربة على كنفه.. كان الحصان يسهل، وعمّه يبتسم، وقد عاد يحمل
الماء... راح يعبّ منه دون ارتواء.. وعندما فتح الطفل عينيه، وجد
زينب أمامه، وفي يديها قربة تموج بمياه الفرات.

هوت الشمس باتجاه المغرب.. جمرة متقددة.. جرح راعف...

لحظات، وحلّ الظلام، فتصاعد الأنين.. أنين النهر.. النخيل.. الرمال..
وذهب الطفل يتلمّس طريقه بين نخيل الشاطئ. بدا القمر جميلاً في
أحضان الماء. رأى وجه أبيه الشهيد منعكساً فيه كمرآة صافية.. ودّ في
أعماقه لو يحمله النهر بعيداً إلى عالمٍ جميل.. إلى مدينة تترقد في أحضان
النهر؛ وهناك يلتقي أباه، ثم ينطلقان معاً إلى البحر الكبير.
استيقظ الطفل على صوت من وراء النخيل يناديه:

- اين أنت يا بقية أخي؟

ونفض الصغير مسرعاً نحو جهة الصوت. انها عمّته زينب.
ارتقى في أحضانها وكان القمر يغمر الرمال بلونه الفضي المتألق.
العيون الساهرة تراقب نجوم السماء والاطفال يناغون القمر..
وتألقت في الرمال سبعون نجمة أو تزيد.. وانطوى الليل على جراح
رؤت الأرض.

وخيل للقلوب الكسيرة أن قلباً كبيراً ينبض في أعماق الأرض
فاهتزّت وربّت، وكان صدئ صهيل يأتي من جهة الفرات.
وفي قلب الظلام، كان الحسين على فرسه يتألق في وجهه نور
النبوات.. يحمل في يديه الورد والزيتون والماء، ويحمل القرآن.
بدت كربلاء - تلك الليلة - مسرحاً كبيراً يستوعب الحياة... وظهر
التاريخ يئنّ من عواء الذئاب.. يستنجد بجواد الحسين. وكان الجواد

يصل، فتفرّ الذئاب مذعورة.
وينطلق التاريخ.. يعتلي صهوة الجواد.. يسابق الزمن. وكانت
الذئاب تطارده لاهثة.

استيقظت يثرب كئيبة، وقد صبغت الشمس جدارنها بحمرة
ملتبهة، وكان غراب ينعب فوق أحد المنازل.

ارتاعت فاطمة الصغرى، وهي تراقب الغراب، وقد كان يلمنح
جداراً يحيط باحة البيت.

بدا البيت خاوياً على عروشه، فلا أحد يؤنس الفتاة الوحيدة مذ
تخلفت عن القافلة لعلّة أنهكتها.

تركوها وحيدة، وانطلقوا الى أرض السواد. وكانت تترقب بريداً
يأتي من قبل أبيها، وها هو نذير الشؤم يحطّ على المنزل.. يملأ الفناء
بنعيقه، ويصغ الجدار بدم هاويل.

وتمرّ الأيام كالحة سوداء، كأسراب غربان مهاجرة.

وذاث صباح حزين، سمعت الصبية صوتاً ينعى والدها العظيم.
كان الصوت يتردد بين منازل المدينة المنكوبة:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدارار
الجسم منه بكر بلاء مضرّج والرأس من فوق القناة يدار
هبت يثرب عن بكرة ابيها. اليوم مات رسول الله .
واتجهت الجموع المدهوشة الى الصحراء للقاء قافلة عصفت بها
الأيام.

وخرج فتى في العشرين من خيمته وهو يكفكف دموعه ويشهق
في عبرته. ودارت عيناه في رجال صحبوا النبي. كان ينعى اليهم سبط
صاحبهم العظيم.

ودخل الفتى بعياله مدينة جدّه... وبكت زينب عندما لاحت لها
البيوت من بعيد، فأجهشت بالبكاء. ولأول مرّة بان الانكسار على
وجهها، وهي تردد:

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والاحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً فعدنا لا رجال ولا بنينا
وعندما وصل الركب الى المسجد، أخذت اخت الحسين بعضادتي
باب المسجد، وهتفت:

- يا جدّاه إني ناعية اليك أخي الحسين.

وصاحت سكينه بلوعة:

- يا جداه اليك المشتكى مما جرى علينا، فوالله ما رأيت أقسى
من يزيد، ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه، ولا اجنئ وأغلظ،
فلقد كان يقرع ثغري أبي بمخصرته ويقول: كيف رأيت الضرب
يا حسين؟!

وناحت الرباب بنت امرئ القيس بقلب كسير:

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به

وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن

يغني ويأوي اليه كل مسكين

والله لا ابتغي صهراً بصهركم

حتى أغيب بين الرمل والطين

ودخل رجل من أولاد طلحة على بقية آل محمد وسأل شامتاً:

- من الغالب؟

فأجاب الفتى وهو يزيح عن العيون حجب الزمان:

- إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب.

اهتز الأشدق شماته وهو يصغي تشفياً إلى مناحة بني هاشم، وتمتم:

- واعية بواعية عثمان!

والتفت الى قبر النبي وأردف:

- يا محمد يوم بيوم بدر.

واتجه الاشدق الى المنبر، وراحت كلماته تخرج شظايا يتهدّد أهل المدينة بالويل والثبور، ثم اصدر أمره الى قائد شرطته بهذم دور بني هاشم، فهورل الشرطة يحملون آلات الدمار، فأمعنوا في خرابها حتى غادروها أطلالاً أو خرائب خلفها الزمن الراحل.

ولاذت بنات محمد بالقبر الشريف، وهي تستصرخ الضمير النائم:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم

ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتردي

منهم أسارى ومنهم ضُرجوا بدم

ماكان هذا جزائي إذ نصحت لكم

أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم

كان الحزن يطوف بيوت يثرب، كغيوم رمادية مثقلة بدموع السماء،

وكانت عجائز المدينة يحدّثن حفيداتهن عن احزان قديمة لأُمّ الحسين

يوم ودّع أبوها الدنيا الى الرفيق الأعلى.

وتهامسن عن حزن جديد.. حزن زينب.

- ان القدر لن يمهلهما كما لم يمهّل أمها من قبل.

- سرعان ما رحلت الزهراء... التحقت بأبيها..
- لن تعيش زينب اكثر من عام.
إنها تذوي لحظة بعد أخرى، كشمعة تذوب في قلب الظلام.

نهض الاشدق من سريره المذهب؛ كان الليل قد ذهب ثلثاه، وهو ما يزال يتقلب في فراشه يصغي الى 'صدى' مناخة تأتي من بعيد.

ما يزال بنو هاشم ينوحون على الحسين، وما تزال المدينة تجترّ آلامها بصمت... كان الاشدق فيما مضى يطرب لبكائهم، وينتشي لمناحتهم، أما الآن فبدأت تورقه.. تقض مضجعه.. تسلب من عينيه حلاوة النوم. إنه يرى تلملم المدينة.. يصغي الى أصوات تلعنه وتلعن بني امية اجمعين، وكان الحسين على الشفاه.

ضغط الاشدق على أسنانه حانقاً، وراح يحدق - من خلال نافذة في القصر - في الظلام الدامس. تراءت له اشباح في الظلام.. اشباح مخيفة ليس لها شكل.. تحمل في ايديها سيوفاً وخناجر..

ارتدّ الاشدق مذعوراً، وشعر بفمه يزداد اعوجاجاً، حتى لقد صعب عليه أن يصرخ بحاجبه.

وقعت عيناه على 'كأسٍ فيها ثمالة، فافرغها في جوفه دفعة واحدة. منذ مدّة وهو لا يفارق هذه البيضاء التي تحرق جوفه وتغرقه في بحر من الخيال.

ولكن ماذا يفعل لهذه المرأة؟!... زينب تسلبه حلاوة العيش.. تقضّ مضجعه.. المدينة تستيقظ على 'مناحتها.. وهو يخاف لحظة الانتقام. لعن في أعماقه يزيد وابن زياد. كان عليهما أن يقتلا زينب... الحسين لا يموت إلا بقتل هذه المرأة. إنها ابنة علي.. علي الذي ما يزال الناس يردّدون كلماته؛ ومحمد يهتف به الناس كل يوم خمس مرّات. شعر بدوارٍ في رأسه، ورغبة في التقيء. لقد أكثر من الشراب هذه الليلة.

استيقظ الفجر على 'صياح الديكة. ونعب غراب، قبل أن يغادر وكره. وناحت حمامة بصوت حزين.

صرخ الاشدق بكاتبه بصوت يشبه فحيح الأفاعي:

- اكتب الي الخليفة:

«إذا كانت لك بالحجاز حاجة فاقتل زينب».

وانطلق ذئب أغبر يحمل رسالة الموت. الاشدق ما يزال متعطّشاً

للدماء.. لم تروه دماء كربلاء، فراح ينشد المزيد.
ما تزال هند تلوك كبد حمزة، وتشتهي كبد علي..
كلمات الحسين تدور في بيوت «الانصار» من سكان المدينة
ممزوجة بدموع زينب.. تتحوّل الى روح تنشد الحرية..
والذين صحبوا النبي يتذكرون عهداً قديماً تحت الشجرة وفي
العقبة كانوا قد نسوها، وهاهم يستيقظون ليجدوا راية «العقاب» في
أيدي الذين حاربوها عشر سنين.

الخلافة تتحول الى ملك، والخليفة يصير هرقل.. والمنبر ينقلب الى
عرش... ويكون معاوية أمين الوحي، ويُشتم أبو تراب ليل نهار،
ويعود طريد الرسول الى المدينة، وتُنفى زينب من كل الحجاز.
استوت «العقيلة» فوق ناقتها، وألقت نظرة حزينة على ربوع
مدينة جدّها، متوجهة صوب مصر.

قالت امرأة هاشمية، وهي تودّعها:
- لقد صدق الله وعده: «وأرثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث
نشاء» فطبي نفسي، وقرّي عيناً، وسيجزى الله الظالمين.
وانطلقت سفينة الصحراء تقطع الفيافي.. تحمل امرأة اسمها زينب،
امرأة لن يهلها القدر سوى سنة واحدة، فقد فاضت روحها في أول

ذكرى لعاشوراء.

في الفسطاط قلب مصر، مكثت زينب عاماً واحداً. وعندما
أغمضت عينها الدامعتين، تفتحت ملايين العيون، وملايين القلوب
على نداء الحرّية. فما يزال الحسين يقاتل.. يهتف في سمع الزمن:
-إني لا أرى الموت الآسعادة ... والحياة مع الظالمين الآبرما.
وما يزال التاريخ يردد كلمات قالتها زينب في كربلاء:
- لقد اخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراغنة هذه الأرض، وهم
معروفون في أهل السماوات. انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة
والجسوم المضرجة، فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لا يُدرس
أثره، ولا يُحى رسمه على كروور الليالي والأيام.

مرّت أعوام والمهرة التي وُلدت لحظة عاشوراء أضحت فرساً
تسابق الريح.. ودارت الأرض دور الرحي.

يثرّب تلعق جراحها العميقة. أغار عليها جند الشام واستباحوها
ثلاثة أيام بلياليها... قُتل رجال كانوا حول النبي... كانوا سبع سنابل
خضر؛ في كل سنبله مائة حبة.

السيوف الأموية تحصد بلا رحمة حتى رؤوس الاطفال. بقرت
بطون الحبالى، واستبيحت ألف عذراء.. وبايعت المدينة يزيداً، جارية
ذليلة.

عاد أبو سفيان يقود القبائل وهو يهتف: أعلّ هُبُل؛ والاحزاب
يعبرون خندق النبي بعد أن ردموه في كربلاء، ونادى منادٍ.

- يا أهل يثرب لا مقام لكم
المدينة تحصد بذار «السقيفة».

وفي مكة، كانت المجانيق تقصف الكعبة من فوق رؤوس الجبال
فاحترق جانب منها.. الشيطان يصب حممه فوق بيت الله .. وجند
الشام يرمون الكعبة بكتل النار الملتهبة، ثم يتجهون اليها وقت الصلاة.
ويزيد في رحلة صيد أسكرته نشوة الانتصار، والأرقت ما يزال
جاثماً على صدر الكوفة يسومها سوء العذاب.. يذبح أبناءها
ويستحيي نساءها.

الضمير الذي خدّره «معاوية» يستيقظ في قلب الليل، يتململ..
يبحث عن جحيم يتطهر فيه.. يتخفف من إثم رهيب حوّل الحياة الى
ذلّ لا يطاق.

لقد وُلد الحسين من جديد.. وها هي بنت محمد تقدم وليدها الى
الدنيا شعلَةً متوقّدة يحملها الأحرار في كل زمان ومكان.

الافاعي ما تزال تتلوّى في قصر الأمانة.. تلدغ كل من يصادفها
وقد قرّ الأرقت الى الشام بعد أن هلك سيّده، وظهر في الكوفة رجل
يصرخ: يا ثارات الحسين.. رجل ذرّف على الستين؛ يدعى «المختار»
قال ابن سعد محدّراً:

- ايها الامير ان المختار اشدّ خطراً من سليمان، فابن صرد قد خرج

من الكوفة يروم قتال أهل الشام.

وقال الابرص:

- اجل ايها الامير أرى أن تودعه السجن.. أو تقتله.. نتغدى به
قبل أن يتعشى بنا.

لا احد يدري كيف استيقظت الكوفة.. نفضت عن نفسها العار
وهبت بشعارٍ كانت قد نامت عنه خمس سنين؛ يوم كان مسلم بن
عقيل سفير الحسين ينادي في دروب الكوفة وحيداً: يا منصور أمت
هبت الكوفة تصرخ مجنونة: بالثارات الحسين.

وسقط قصر الامارة في أيدي الثائرين؛ فيما فرّ الجلادون لايلوون
على شيء.

كان الابرص قد فرّ باتجاه الجنوب مشدوهاً يفكر بكلمات قالها
الحسين في كربلاء:

- والله لا تلبثون بعدها الا كريماً تركب الفرس حتى تدور بكم
دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور.. عهد معهود عهده الي أبي عن
جدي رسول الله .

وتجسدت صورة الحسين وهو يرفع يديه الى السماء كني يستمطر
اللعة على قوم كذبوه:

- اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف

وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة.. والله لا يدع احداً
منهم الا انتقم لي منه.. قتلة بقتلة، وضربة بضربة، وانه لينتصر لي
ولأهل بيتي واشياعي.

تحققت نبوءة الحسين. صارت المهرة فرساً تُركب، تسابق الريح
وظهر «المختار الثقفي» في قبضته سيف الانتقام.

فرّ الجلّادون.. تحولوا الى فئران خائفة اختبأت في جحورها
ترتجف، وكان سيف المختار يطاردها.. يحقق نبوءات الحسين.
وفي ساعة غضب مقدس، تحولت جحور الفئران الى انقاض
وركام.

قال المختار وهو يودّع «ابن الاشر» قائده الشجاع

- بقي رأس الافعى.. بقي رأس الارقط :

هزّ ابراهيم رايته بشدة.

تحرك سبعة آلاف مقاتل يحملون في صدورهم قبساً من روح

الحسين، وصهيل فرس غاضبة تدوي في الاعماق.

غادر ابن زياد الشام على رأس جيش تجاوز الثمانين الف مقاتل يحملون سيوفاً أموية تنذر الكوفة بالويل والثبور يقودها «الارقط» وقد بايع مروان على الطاعة... ومروان طريد رسول الله اموي سامريّ منعه النبي أن يغادر الطائف. ولما اغمض النبي عينيه جاء مختبئاً تحت عباءة عثمان.

وتمرّ الاعوام تلو الاعوام، واذا بالطريد يسرق منبر محمد في وضح النهار.

سقطت الموصل في قبضة الارقط... وعلى ضفاف نهر الخازر في ضواحي الموصل التقت فئة قليلة فنة كبيرةً وحدثت ملحمة رهيبة.. كان الاشر يقاتل بشجاعة ابيه.. يستعيد بطولاته على شاطئ الفرات

بصفين وليشهد «الحازر» أن الولد على سرّ ابيه.
طاحونة الموت تدور عند ضفاف الحازر، وسقط رأس الارقط
وتمزقت جيوشه.

كان المختار جالساً في القصر عندما وضع بين يديه رأس الارقط..
كان يشبه رأس الافعى يسيل من انيابه الصديد.. عيناه زائغتان
تعكس آثار رعب ودناءة.

وتساقطت رؤوس الجلّادين.. رأس الأبرص ورأس رجل كان
يحلم بالري وجرجان، رأس سنان و «حرملة» ورؤوس عفنة كثيرة..
سقطت كما تتساقط الثمار الفاسدة عند هبوب الزوبعة وفي فجر يوم
باسم، وقد تطهّرت الكوفة من رجس الشيطان. كان فارس قد
غادرها تَوْأً يحمل معه رؤوس الأفاعي، ويكاد أن يسبق الريح،
وجهته «يترّب» المدينة المنكوبة.

دخل الرجل الكوفي منزل علي بن الحسين وهتف مههور الانفاس:
- يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي انا رسول
المختار اليكم ومعني رأس ابن مرجانة ورأس ابن سعد و....
وعادت الفرحة الى المدينة.. تجددت ذكريات بدر يوم تساقطت
رؤوس الشرك في «القليب».

وفي تلك الليلة تذكرت نسوة بني هاشم الحنّاء، وعاد المرود يدور

في العيون يمسخ آثار حزن متجدد.. وشقّ المشط طريقه في ليل الشعر
ليل حالك أو ربما اشتعل شيباً. وهوى فتى الحسين ساجداً لله الذي
يمهل ولا يهمل:

- اللهم وفقه لما تحب وترضى واغفر له في الآخرة والأولى.
عادت البسمة تطوف في بيوت بني هاشم.. تمسح الدموع، وتمنح
الأطفال الأمل، والنسوة كحلاً ومراد... ومن بين كل العيون بقيت
عينان حزينتان تدمعان ..

فلقد اغمضها القدر بمصر قبل أن تريا تساقط رؤوس الجلّادين.
غير ان التاريخ ما يزال يردد بطولات امرأة اسمها زينب.